مقدمة

الحمد لله، علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصّلاة والسّلام على معلم البشريّة وهاديها إلى ربها، أمَّا بعد:

فيُستَشفُّ من افتتاحية كثير من مصنفات الأوائل قلقٌ كبير من الإقدام على الكتابة؛ لكونها مليئةً بالأخطار، ومن يركبُها فقد ركبَ الصعبَ، فلا بدَّ أن يلتزم الحيطةَ؛ لكي يفوز بالسّلامة، ولا سلامَ في الكلمات؛ لأن السّلامة في الصّمت...

من أجل ذلك يقدم بين يديه عذرًا للتأليف، ويفصحُ عن الباعث عليه، كسؤال من سائل، أو طلب ممن له حق الطلب. ولهذا قيل: «لا يزال المرء في فسحة من أمره ما لم يقل شعرًا أو يؤلِّف كتابًا».

وتساوق مع هذا التخوف سؤال يطرح قديمًا وحديثًا عبر سياقات مختلفة: لماذا نكتب ولدينا كتابات أعظم وأجود؟

لا يمكن بحال أن تقارن أعمالنا بأعمال من سبقنا من العلماء، فما ترك الأوّل للآخر شيئًا، فليس لدينا إلا معادٌ من القول مكرورٌ، ولن نكتب أبدًا شيئًا أفضل من ذي قبل... إذًا لماذا نكتب؟

هذا اتجاهٌ له أنصاره... وفي المقابل ثمّةَ اتجاهٌ أكثرُ عددًا وأقوى حجة يرى أهمية الكتابة، وأن الكلام لم ينتهِ عندَ زمن، والفضل ليس محصورًا على أولاء الأقدمين، فكم كتابة زاحمت الأوائل في إتقانها وجودتها، وأضحت مدرسةً يتعلّم النّاس منها. قال الجاحظ: «ليس ممّا يستعمل النّاس كلمة أضرُّ بالعلم والعلماء، ولا أضرُّ بالخاصّة والعامّة، من قولهم: ما ترك الأوّل للآخر شيئًا. ولو استعمل النّاس معنى هذا الكلام، فتركوا جميع التكلُّف، ولم يتعاطوا إلا مقدار ما كان في أيديهم لفقدوا علمًا جمًّا ومرافق لا تُحصى، ولكن أبى الله إلا أن يقسم نِعمَه بين طبقات جميع عبادِه قسمةَ عدلٍ، يُعطي كلَّ قرنٍ وكلَّ أمّةٍ حِصَّتها ونصيبها، على تمام مراشد الدِّين، وكمال مصالح الدُّنيا»[1].

الكتابة عن الكتابة لا تغني شيئًا عند أقوام رأَوا الكتابةَ محضَ إلهام ومَوهبة يهبها الله لمن يشاء، وأن النصَّ يتطور من تلقاء نفسه، وما الكتابة فيها إلا قبض رياح، لا تختط طريقًا، ولا تقوم على منهج مقترح... وبالضد من هؤلاء من يظن أن الكاتب يتبع وصفة معينة، تشبه القاعدة السّرية التي يودُّ النّاس اكتشافها، واتباعَ خطواتها.

الحقيقة أنَّ الكتابة موهبة وطَبع، وهي مع هذا قابلة للتعلُّم إذا صاحب ذلك جهد وكدّ في معالجة النص، وهذا يعود إلى الشّخص نفسه، فلن يقدِّم له أحد سوى

---

(١) رسائل الجاحظ (٤/١٠٣).

مبـادئ عامة، فـلا وصفات جاهزة للكتابـة، ولا قاعدة ذهبية تطلِـق عقدة الكتابة، وإنما الموجود الكثير من القواعد المتغيِّرة التي تفيد في منهجية الكتابة وتنميتها، وما إلى ذلك.

والحديث عن كيفية الكتابة وأسسها لا يعني البرهنة على أن ما يُكتب على هذا المنهاج أو ذلك هو شيء جيِّد بالضّرورة، فقد يكتب من لا يتبع الطرق المنهجية أجمل الكلمات.

ومفاهيـم الكتابة ومنهجياتها لا ترتبط بعلم واحـد، بحيث تسير على خطوات مدروسـة، وإنما هي خليط من علوم ومفاهيم متنوعة، وإن كان علم (الإنشاء) أكثر التصاقًا بها، إلا أنه أصبح بِركةً كبيرة تجتمع به علوم اللسان العربي كلُّها.

الغرض من علم الإنشاء في الأصل هو التعرُّف إلى كيفية أداء المعاني على وجه تتمكـن معه من النفوس، ولو خلا من قواعـد الصنعة ووصفات المدارس والنظريات التي لا تفيد كثيرًا لكان له أثر في تأسيس الكتابة وتأطيرها.

عانـى كثير من مريـدي الكتابة في معالجتها، وخَطَوا خطـواتٍ متعثرةً نحوها، فمنهم من سلم منَ العِثار والزلَل والسقوط، ومنهم من أصابه شيء من ذلك، ومنهم من لم تقم له قائمة، وكنت -وما زلت- أحدَ الشداة في الكتابة أحاول تلمُّس الطريق، وفي أثنـاء ذلـك كنت أطالع سِيَر العلمـاء والكُتَّاب، فأقيد ما يمـر عليَّ، وتتداعى لي خواطر تكمل النقص، فلَمَمت هذه التجاربَ وغيرها في هذه الورقات، عسى أن تفيدَ في تأسيس خطـوات ممنهجة للكتابة الجيِّدة، ولا سيما أن كثيرًا من المتَأدِّبة يحارون

في سلوك الجادة ويتلمسون أيّ الطرق توصل للكتابة، ولو كانت طرقًا قددًا، وهذا ما جهر به عدد من الكُتّاب ممن عانى من الكتابة في شدوه ورأى صعوبة الطّريق وتعرج مسالكه.

لم يسبق في التاريخ أن فُتحت تلك الأبواب للكتابة، ولم يسبق أن أتيح للنّاس بعامة سبل الكتابة والنشر بأيسر طريق، في مواقع التواصل والشبكات الاجتماعية وغيرها؛ فيمكن للصغير قبل الكبير أن ينشر ما يكتب مباشرة، وتطير عبر الفجاج والبحار، سواء أكانت كتابة جيدةً أم كانت سيئةً، وهذا سبب كافٍ للكتابة عن الكتابة.

الممارسات الممكنة للكتابة كثيرة التنوع والاختلاف، ويمكن الإشارة إلى بعضها من خلال الأسئلة التالية:

- **لماذا نكتب؟** ويشير هذا السؤال إلى الأهداف المراد تحقيقها.
- **وماذا نكتب؟** ويشير إلى المادة الكتابية فكرةً ومعرفةً ومعنًى ولفظًا.
- **كيف نكتب؟** ويشير إلى الطّرق والأساليب المستخدمة لتحقيق الأهداف.
- **لمن نكتب؟** ويشير إلى المتلقي.

صياغة منهجية للكتابة أمر عسير جدًّا، من جهة إشكالية الكتابة، وتحديد موضوعها وحدودها، وما إلى ذلك... ولن أقدِّم في هذا الكتاب أي وصفة أو تمارين تطبيقية عن كيفية الكتابة في أجناس المعرفة المختلفة، خلا توجيهات عامة، فلهذا

كتب متخصصة في الكتابة والبحث العلمي لمن شاء، وحسبي أن يكون دليلًا على الطّريق لا شارحًا لما يمر به من معالم، وأن أشعل النّار لا أن أنضج الطّعام...

أسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل نافعًا لعباده، خالصًا لوجهه، وأن يغفر الزلل والخطأ... والحمد لله رب العالمين.

وكتبه **فهد بن صالح الحمود**
عنيزة 1435/3/20هـ
الرياض 87803
الرمز البريدي: 11652
fsh0167@gmail.com